

من مدخل الدين والمساعدات.. قطر تتمدد في مدغشقر

يسعى الرهان القطري عبر التوسع في أفريقيا، إلى تحقيق جملة من الأهداف السياسية والاقتصادية، فهو يبدأ من المساعدات والعمل الخيري ثم يتركز على الاقتصاد، ليصل إلى محاولة التأثير السياسي. في هذا الباب دشنت الدوحة في السنوات الأخيرة مسارات متوازنة لأشطرتها في أفريقيا، وهو ما يمكن تلمسه بوضوح في التسرب القطري في مدغشقر.

الدوحة - لم تترك قطر دولة في أفريقيا تستطيع الوصول إليها عبر أذرعها الإخطبوطية وتوقفت أو تردت في ذلك، فقد وضعت نصب عينها الاهتمام بالمناطق النائية والبكر كي تتحكم في وضع القواعد التي تحصل من ورائها على مكاسب مختلفة تخدم أجندتها الخاصة المتحالفة مع المتشددين، ولا تفلت الانتباه لتحركاتها لتتمكن من تثبيت أقدامها بعيدا عن الآخرين. تتبنى الدوحة خططا متباينة، وتحرص على التنوع لتحقيق مآربها، وتنخرط في الصراعات المتهبة وفي أماكن الهدوء، وتقدم دعما سخيا لبعض الحكومات ولا تتورع عن مساندة التنظيمات المتطرفة واحتضان العديد منها. وهو ما كشفت عنه الكثير من التقارير الدولية التي دفعتها إلى اتخاذ قدر من الحذر لتتمكن من تمرير أهدافها. لم تتخيل بعض الدوائر أن يصل بصرها إلى دولة مثل مدغشقر، الجزيرة الأفريقية النائية والمطلية على المحيط الهندي، لتعيد على أراضيها ممارسة هوايتها وشغفها في التأثير على صناعة القرار بما يخدم توجهات تخفي أكثر مما تظهر في جميع المقاربات السياسية.

تبدو مهمة الدوحة أسهل في مدغشقر، إذ لم تكن الدولة الملقبة بجزيرة الغانيليا في العقد الأخير إلى مطمع لقطر، وبيدات تخرج من كوتونها الاقتصادية وظهت بوابر ثروة نظيفة كبيرة، تريد الدوحة أن يكون لها نصيب في تسخيرها لصالحها قبل أن تسبقها دول منافسة، وتمكنت من وضع أقدامها في بعض المفاصل المهمة في بعض الهياكل الرسمية للدولة التي قد تمكنها من التسلل لدول قريبة منها.

بدأت الدوحة، في ضخ الكثير من الأموال تحت بؤبؤ المساعدات والمنح عبر جمعيات مشتركة، مثل وكالة "ضمان الاستقلال متعدد الأطراف" ومؤسسة "التمويل الدولية"، وهما مؤسستان تحصلان على دعم سنوي من صندوق قطر السيادي. وكان آخر وسائل الدعم، توفير دعم كبير لجمعيات دينية بعينها تحت بند المنح المقدمة لعدد من الأسرى التي عانت من الفيضان في يناير الماضي بالعاصمة أنتاناناريفو.

ودخلت الدوحة متخفية خلف ستار شركة "أو.إم.في" النمساوية، ونجحت في الفوز بحقوق استخراج النفط في أكثر من 15 موقعا برياً وبحرياً في مناطق غنية بالنفط مثل توليارا وتوماسينا، على المحيط الهندي، والوادة من حيث الكميات المتوقع استخراجها منها. وقيل ذلك وقعت قطر مع الحكومة في مدغشقر العام الماضي اتفاق احتكار غير رسمي لسيطرة الطيران القطري



المدخل الديني المخالط



ارتباك في التعامل مع الاختراقات

الجاسوسية صداع يؤرق تنظيم القاعدة في اليمن

العلاقات الشخصية والاتصالات مدخل العملاء للوصول إلى القادة

وإعلان العفو الشامل عنهم مقابل التوبة، رغم فداحة الجرم الذي ارتكبه والتسبب في القضاء على القوة الضاربة للتنظيم وعلى أمة قادته وأكثرهم حرفة عسكرياً وميدانياً.

اختراق التنظيم وزرع جواسيس أمر وارد، لكنه ليس سهلاً على خلايا التجسس الوصول لصف القيادات، ولا يمكن أن تكون التصفية للقادة البارزين في التنظيم وقتل العشرات منهم بهذه السهولة، نظراً للحذر المضاعف الذي يحيطون أنفسهم به وبالإجراءات والتدابير الأمنية الخاصة بهم.

وهنا تعد دائرة العلاقات الشخصية والاتصالات هي المدخل الرئيسي للجواسيس والعملاء للوصول إلى هؤلاء القادة، ما يمكنهم من زرع شرائح اتصالات ترسل نبذات عبر الجي.بي.اس التي تحدد دورها للدرن مكان الهدف بدقة عالية.

صداع الاختراق

بدلاً من معالجة الخروقات التي تعرض لها بعض القادة، وبدلاً من السير على التقليد المعمول به في التنظيم منذ وصايا أسامة بن لادن المكتوبة التي عثر عليها في مخبئه بعد مقتله، وضرورة التخلص من الجواسيس، ظهر باطرفي القائد الجديد لفرع القاعدة باليمن بسلك مختلف مع ظاهرة الجاسوسية، وهو ما يجري تحميله بتأويلات متناقضة.

يلجأ أنصار باطرفي إلى الزعم بأن إعدام الجواسيس في السابق لم يحل المشكلة ولم ينقذ تنظيم داعش عندما قام أبو بكر البغدادي بقتل العشرات منهم، بل عكس حالة من الإرباك والضعف، ولابد من طرح خطط بديلة لإنقاذ التنظيم من داهش. يحول دون الاقتناع بهذا التصور الاختراق الأمني الكبير لتنظيم القاعدة، وخاصة فرعه في اليمن، علاوة على الخلافات التي وصلت حد اتهام قائد التنظيم بالتجسس لحساب المخابرات الأمريكية.

وصار قائد فرع القاعدة الجديد بجزيرة العرب بين طرفي كمشاة، فإما أن يلتزم بقواعد التنظيم ومنهج أسلافه معرضاً نفسه لمصيرهم الذي صار مقروءاً ومشاهداً قبل وقوعه، أو الإقدام على خطوات تزيد من الشكوك حوله وتعرضه للاستهداف من داخل تنظيمه، وفي مقدمتها مغامرته بالعفو عن الجواسيس. ساعته قد يحظى باطرفي فقط بأسلوب قتل مختلف، فلن يتطلب التخلص منه وجود جواسيس على الأرض يدلون الدرنة الأمريكية على موقع تواجد وضع الشريحة التي تعتمد عليها لضربه.

صار اليمن وجهة الدرنة الرئيسية بالتعاون مع جيش من الجواسيس على الأرض، نظراً لاختازه مطلقاً لشحن هجمات على الغرب وتهديد المصالح الأمريكية ولتمركز قيادات به نظر إليهم من جهة مقدرتهم على توحيد الجهاد العالمي، بالمقارنة بتراجع قدرات القاعدة المركزية في هذا السياق.

خارج التصفية

تسبب تراجع القاعدة في جزيرة العرب في تراجع إضافي للتنظيم عالمياً بعد أن ارتبط اسم فرع القاعدة في اليمن بالعديد من الهجمات التي استهدفت المصالح الغربية، مثل الهجوم على المدمرة يو.اس.اس كول عام 2000، والهجوم على السفارة الأمريكية في صنعاء عام 2008، ومحاولة تجسير الطائرة الموجهة إلى الولايات المتحدة عام 2009، والهجوم الذي استهدف مكاتب مجلة شارلي إيبدو الفرنسية عام 2015.

يقع خالد باطرفي، الذي تولى منصبه خلفاً لقاسم الريمي الذي أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مقتله في السابع من فبراير الماضي، تحت ضغط توقع استهدافه السريع بالنظر لنشاطه المكثف بوصفه المشرف على الشبكة الإعلامية لتنظيم القاعدة بنشاط الريمي، في حين لا يمتلك باطرفي رفاهية توجيه التنظيم إلى المحلية، أو إجراء تعديلات على تحالفاته وخطابه الموجه لبيبي خارج التصفية.

اسم باطرفي مهمة استعادة قوة وحضور التنظيم الذي يمر بأسوأ حالات ضعفه مدافعا عن رقعة صغيرة شمال غرب محافظة البيضاء، فيما التنظيم مشتت وقادته ملاحقون ومهددون بالطائرات المسيرة والجواسيس، الأمر الذي أثر على عدد العمليات التي يعلن عن مسؤوليته بتنفيذها، علاوة على تعقيد المهام الإدارية بسبب صعوبة التواصل، ما يفسر تأخر الإعلان عن اسم القائد الجديد للتنظيم. لن يقدر خالد باطرفي، المكتنى بـ"أبو المقداد الكندي"، والذي تم تنصيبه دون إجماع في 23 فبراير الماضي قائداً لفرع القاعدة في اليمن على إظهار أي تحولات في أيديولوجية التنظيم وقناعاته كفرع عُقدت عليه الأسس لتدعيم خطط الجهاد العالمي، ففي هذه الحالة ستعتمد الخلافات ويزداد نفوذ من يتهمونه بعقد صفقة مع الأميركيين للقضاء على الريمي على أن يتم توجيه التنظيم في مسار مقبول لدى المخابرات المركزية الأمريكية مقابل عدم استهداف باطرفي بالقتل.

ما يثير الريبة هو إقدام باطرفي بعد يومين فقط من تسليمه قائداً للقاعدة في اليمن على إظهار التعاطف مع الجواسيس

عكس الفرق بين تصرف قادة تنظيم القاعدة حيال الجواسيس قبل خمس سنوات وبين ما يتم انتهاجه اليوم، مدى ما حققه نشاط التجسس على التنظيمات الإرهابية المسلحة من نفوذ، خاصة مع تركيز الحرب ضد الإرهاب على استهداف قادة الجماعات المتطرفة عموماً. وشكلت الجاسوسية على مدار سنوات إحدى المشكلات التي يعاني منها هؤلاء.

اختراقها واحتواء أفرادها بعروض العفو العام وتسليم أنفسهم مقابل الأمان، في حين كان التعامل مع الظاهرة في السابق لا يجيد عن الإعدام رمياً بالرصاص.

انخفاض نشاط تنظيم القاعدة في جزيرة العرب باليمن والمنطقة، على الرغم من بداياته كأخطر فروع التنظيم الذي أسسه أسامة بن لادن، راجع للضعف الأمني والعسكري الناتج عن القضاء على أهم قادة التنظيم وكبار رؤوسه المدبرة. وأثمر التعاون الجاسوسي وغارات الطائرات المسيرة عن اغتيال أهم قادة القاعدة باليمن، وهو الفرع صاحب النصيب الأكبر من هذا النوع من الاستهدافات، بالمقارنة بعدد من تم اغتيالهم بنفس الوسيلة من قادة القاعدة في أفغانستان وبأفغانستان والصومال وليبيا وسوريا والعراق.

سياسة القاعدة الجديدة في التعامل مع الجواسيس تظهر انكشافاً أمنياً غير مسبوق داخل القيادة عندما تحدث كل جاسوس عن أدواره وعن أسماء القادة الذين تسبب في قتلهم

واغتالت هذه الغارات التي تتوقف دقة تنفيذها على احترافية ووفاء العملاء على الأرض كبار المتخصصين في صناعة المتفجرات بفرع القاعدة بجزيرة العرب، وفي مقدمتهم إبراهيم العسيري، وعبدالله عوض المصري المكتنى بـ"أبو أسامة الماربي"، كما أودت بحياة مسعد وعبدالله الظاهري، والقيادي النشط أنور العولقي وخالد باتيس وإبراهيم الربيش وجلال بلعدي ونصر الأنسي وحارث النظاري، وغيرهم الكثير وصولاً لناصر الوحيشي وأخيراً قاسم الريمي.

يرجع حصد العدد الأكبر من قادة القاعدة باليمن إلى النفوذ الذي حققه التنظيم في هذا البلد صاحب الأهمية الإستراتيجية، ما مكنته عبر السيطرة على بعض المناطق بداية من 2012 وحتى العام 2015 أدار فيها ما يشبه الإمارة، من إقامة معسكرات للتأهيل الفكري والإعداد العسكري لحركة الجهاد العالمي.

هشام النجار
كاتب مصري

تحوّل الجاسوسية إلى مشكلة لدى قادة تنظيم القاعدة، إلى درجة دفعت القائد الجديد للتنظيم في جزيرة العرب، خالد باطرفي، إلى إبداء المرونة مع الجواسيس وعرض الصفح عنهم، مقابل التوبة بعد أن شوهد في أحد الفيديوهات قبل سنوات يقتل البعض منهم رمياً بالرصاص.

حرص خالد باطرفي على التذكير بمصير من سبقوا من الجواسيس عبر إعادة نشر لقطات لتنفيذ حكم الإعدام قتلًا بالرصاص في عدد منهم، وفي نفس الفيديو الذي أصدرته مؤسسة الملاحم السزاع الإعلامي للتنظيم تحت عنوان "هدم الجاسوسية" باللغتين العربية والإنجليزية عرضت اعترافات بعض الجواسيس دون معاقبتهم، في محاولة لإظهار الترهيب والترغيب لأقرانهم للاعتراف مقابل العفو.

دفع الهوس بالجاسوسية داخل صفوف القاعدة بعض أعضاء التنظيم المعارضين لتولية باطرفي لاتهامه بالمساهمة في قتل سلفه قاسم الريمي، بالاتفاق مع الأجهزة الأمريكية، كما سبق أن شكك آخرون في الريمي نفسه الذي ظل فترة طويلة على رأس التنظيم دون استهدافه، ما عكس مناخ عدم الثقة الذي وصل إلى حد التشكيك في قيادات الصف الأول.

تكشف سياسة القاعدة الجديدة في التعامل مع الجواسيس انكشافاً أمنياً غير مسبوق داخل دائرة القيادة عندما تحدث كل جاسوس عن أدواره وعن أسماء القادة الذين تسبب في قتلهم، إن لا تتمكن الصواريخ المرسل من طائرات الدرنة الأمريكية من الوصول إلى كبار قادة التنظيم إلا عبر تعاون من قبل جواسيس مدسووسين في صفوفهم عبر وضع الشرائح الإلكترونية التي تدل الطائرات المسيرة على أماكنهم.

أفلا يتوبون

ظهر الجواسيس في فيديو آخر حمل عنوان "أفلا يتوبون إلى الله" كخلايا نافذة داخل التنظيم وليسوا مجرد حالات فردية، ما دفع القيادة الجديدة لمحاولة